المنهج الظواهري عند إدموند هوسرل"

تيلوين مصطفى.[1]

مقدمة:

تعتبر الظواهرية من فلسفات القرن العشرين ولقد حاول الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل أن يحدد الموضوعات والإشكاليات التي سعى إلى تحليلها بمنهج ينطلق منها كذلك ولقد حاولت الظواهرية محاولة جادة لإعادة تجديد وإحياء مفهوم النسقية التي اكتملت مع هيجل هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعتبر من الفلسفات الجوهرية والأساسية، لأنها حاولت محاولة جادة للتفكير في أزمة المعرفة الأوروبية انطلاقا من أصولها الأولى المتمثلة في الحضارة الإغريقية، لهذا ولضرورة معرفية ومنهجية وجب أن نتساءل: ما الظواهرية؟ ماطبيعتها؟ وما إشكاليتها الكبرى؟ ما قوانينها؟ ما أبعادها وما غاياتها؟ وإلى أين وصلت هذه الفلسفة؟ والأهم من ذلك ماجوهر نظريتها في المعرفة؟ وما آثارها الكبرى على مفهوم العلوم الإنسانية في الفلسفات التأويلية وبالخصوص عند الفيلسوف الألماني هانز جورج- غادامير؟

إذن قبل الإجابة عن هذه الجملة من التساؤلات يجب أن نعرف الظواهرية في أصلها اللغوي، الاصطلاحي والفلسفي. فكلمة الظواهرية بالفرنسية (Phénoménologie) مشتقة من الإغريقية (Phainomenon) بمعنى ظاهرة ولوغوس بمعنى دراسة أو علم. [2]

ومن الناحية الاصطلاحية: تعرف الظواهرية على أنها دراسة لظاهرة أو مجموعة من الظواهر. [3]

وقد جعل هوسرل من هذه الفلسفة علما صارما موضوعه الماهيات، هذه الصرامة التي حاول من خلالها تفسير الظواهر، ومرجعها يعود إلى تكوينه العلمي والرياضي، إذن من هذا المنطلق، وجب أن نتساءل: كيف يعرف هوسرل الظواهرية؟

يعرفها على أنها ذلك العلم الخالص الذي يدرس الظواهر باعتبارها ماهيات[4] ويعرفها كذلك على أنها علم قبلي أو علم ماهاوي[5]

ويعرفها الفيلسوف الظواهري الفرنسي مارلو – بونتي- ومن خلال تساؤله الكبير ما الظواهرية؟ إنها دراسة الماهيات، وكل المشاكل التي تنبثق منها وتعود إليها مثل ماهية الإدراك والوعي – إنها كذلك فلسفة تحاول إيجاد موقعا للماهيات في الوجود.[6]

---

[1]- أستاذ بقسم علم الاجتماع ،كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز الجامعي لغيليزان.

[2]-Russ Jacqueline, BADAL, LEGUIL , Dictionnaire de philosophie, Berdas, Paris, 2004, P :310.

[3]-Ibid, p: 310.

[4]-Husserl – edmund, Idées directrices pour une phénoménologie, Gallimard, 1982, p : 3.

[5]- Ibid, p: 10.

[6]-Merleau – ponty Maurice, Phénoménologie de la perception, Gallimard, 1989, p :1.

لكن يعتبر الفيلسوف الألماني لامبرت(LAMBERT) هو واضع هذه الكلمة عام 1764،[7] ثم نجد الفيلسوف الألماني هيجل الذي عنون كتابه بظواهرية الروح، هذا الكتاب الأساسي له، الذي نجد من خلاله هيجل يحلل الوعي الإنساني عبر التطور التاريخي للإنسان، هذا الوعي الذي يبدأ من الحس وبحركة جدلية يصل إلى المعرفة المطلقة،[8] إذن وبعدما كان هذا المفهوم عند الإغريق يعبر عما ظهر وعن ما هو مرئي أي ما هو خارجي سيصبح لاحقا وبالخصوص عند هوسرل تعبير عن فلسفة الوعي الداخلي وعلاقتها بعالم الموضوعات والأشياء وبالخصوص ما يظهر للذات في فضائها الداخلي وجملة العلاقات التي تقيمها هذه الأخيرة مع عالم الموضوعات.

لقد أعطيت تعريفات، كثيرة ومتنوعة ومختلفة للظواهرية، إذ نجد في علم النفس أن الظواهرية تحمل دلالة الدرامية الموضوعية للظواهر النفسية أو الواقع والوعي، ومن هذا المنظور فهي تختلف عن علم النفس الكلاسيكي باعتبارها تصف الواقع كما هو معطى دون تفسير ميتافيزيقي،[9] وتعرف كذلك في علم النفس على أنها ذلك الوصف والتأويل للسلوكات النفسية انطلاقا من الخبرات والتجارب الأصلية للذات الإنسانية،[10] وإضافة إلى هذه التعريفات المأخوذة من مجال علم النفس، نجد الفلاسفة قد اجتهدوا في إعطاء تعريفات كثيرة للظواهرية إذ نجد كارل ياسبرس يعرفها: "على أنها دراسة لحالات الروح التي تشبه تلك الحالات التي يشعر بها المريض، لكن المهم في الظواهرية هي تلك الدراسة للظواهر التي تجعل من الفهم الحدسي العميق أساسا لفهم هذه الأخيرة"[11] ويعرفها غابرييل – مارسيل بقوله: " عندما حاولت فهم مشكلة التسامح فقد استعنت بالظواهرية عوض علم النفس لأنني أعتقد تمام الاعتقاد أن التسامح مشكلة ظواهرية وليست نفسية، فعندما أتسامح، فإن ذلك يعطي معنى لوجودي ولوجود الآخر".[12]

ويعرفها الفيلسوف الوجودي الفرنسي جون بول سارتر: " إن الظواهرية منهج بسيط يتمثل في إنتاج صور داخل ذواتنا ثم إن التفكير حول هذه الصور ووصفها معناه تحديدها وترتيبها حسب صفاتها الخاصة والمميزة".[13]

ويعرفها مارلوبونتي كذلك: " على أنها عملية جرد للوعي باعتباره مركز الوجود"[14] ونفهم من ذلك أن مارلوبونتي جمع بين الدراسة الوظيفية والتحليلية للمعطيات الظواهرية.

وانطلاقا من هذه التعاريف نستنتج أن الظواهرية ليست واحدة بل هي أنواع وأقسام وأشكال متعددة أهمها: الظواهرية المتعالية ويمثلها إدموند – هوسرل– وتعتبر منهج من خلاله يصف الفكر ويعرف الظواهر

---

(7)-Moral – isabelle, Millet – luis, petite encyclopédie philosophique, Edition universitaire, 1995, p : 257.
(8)-Ibid, p:257.
(9)-Foulquie Paul, Dictionnaire de la langue philosophique, puf, Paris, p :537.
(10)-Ibid, p:537.
(11)-Jaspers Karl, psycopotologie, générale, Aubier, 1967, p :47.
(12)-Marcel Gabriel ; du refus a l'inrocation ; Gallimard, 1973, p :269.
(13)-Sarte Jean, Paul ; l'imaginaire Gallimard, 1986, p :13.
(14)-Merleau – ponty Maurice ; La structure du comportement puf, 1950, p :1950.

ويستعمل في ذلك الاختزال الماهوي أي إقصاء العناصر المادية للوصول إلى عالم الفكرة المتعالية وفي هذا الصدد يقول هوسرل: " إن الظواهرية تهتم بالوعي الخالص كوعي متعالي مؤسس على حدس الماهيات".[15]

ثم تأتي ظواهرية الروح والتي يمثلها هيجل وموضوعها يتمثل في تحليل تطور الوعي الإنساني عبر التاريخ والذي يمر بمراحل أولها الحس ثم العقل ليصل أخيرا إلى المعرفة المطلقة. وفي هذا الصدد يقول هيجل: "في ظواهرية الروح استعرضت تطور الوعي منذ علاقته المباشرة مع عالم الموضوعات حتى المعرفة المطلقة هذا الطريق الذي يمر بكل أشكال العلاقات التي يحددها الوعي باتصاله مع الموضوع والنتيجة هي بناء مفهوم العلم".[16]

ثم نجد شكل آخر للظواهرية يتمثل في الظواهرية الوجودية المناقضة تمام التناقض للظواهرية المتعالية التي يمثلها هوسرل، وتعتبر الماهيات مجالا ماديا وملموسا تنطلق منه الذات المفكرة، ومن أبرز ممثليها نجد كل من ساتر ومارلو – بونتي– وفي هذا الصدد يقول هذا الأخير " إن الظواهرية كفلسفة وجودية تحاول اكتشاف الشروط الممكنة التي تجعل من تجربة العالم حلقة وصف العلم الذي يسبق كل فكر حوله".[17]

إن الظواهرية لم توجد من العدم، وإنما لها تاريخ طويل ارتبط بتطور تاريخ الفلسفة، لكن المعنى الذي كان موجودا في الفلسفات السابقة ليس هو نفس المعنى الذي سنجده عند هوسرل وفي الفلسفات اللاحقة كالوجودية عند ساتر ومارلوبونتي ومن هذا المنطلق يجب أن نبحث عن تاريخ تطور الظواهرية من خلال التأسيس لا بتسمية تاريخية وأهم مراحلها الأساسية عبر تاريخ الفلسفة ولهذا يجب أن نتساءل: كيف تطورت الظواهرية؟ وما هي حملة المعاني التي أخذتها من تاريخ الفلسفة؟

لقد ظهر مصطلح ظواهرية لأول مرة عام 1734 م مع الفيلسوف الألماني جان هنري لامبرت والذي سماها بمذهب الظواهر، ثم استعملها لاحقا إيمانويل كانط من خلال مؤلفه نقد ملكة الحكم وتطور المعرفة وبالخصوص هيجل عام 1807 من خلال مؤلفه الشهير الروح، هذه الظواهرية التي تتبعت التطور التقدمي للوعي منذ المعرفة الحسية مرورا بالمعرفة العقلية حتى المعرفة المطلقة، لكن مع هوسرل دخلت الظواهرية عصرها الذهبي لتولد كمدرسة قائمة بذاتها وكحركة فكرية كانت مهمتها تحديد ووصف ما يظهر، وذلك طبع من خلال المنهج الظواهري، ثم يأتي مارلوبونتي الذي جعل من الوعي والمعاني التي يحملها الإنسان ويعتبر أبرز ممثل لهذه الظواهرية ومن خلاله نكتشف ضعف أو قوة أو فرحة أو حزن هذا الإنسان.

وترتبط الظواهرية بمجموعة من المفاهيم والتي من خلالها يمكن فهم قواعد وأسس وأبعاد الظواهرية ومن بين هذه المفاهيم نجد الأنا المتعالي أو ما يسمى بالذات المفكرة التي يتجلى دورها في الاختزال الظواهري وبمعنى آخر وضع العالم الموضوعي دون أي اعتقاد وجودي، ونسميه كذلك بالأنا الخالص أو الأنا الأخير والنهائي،[18] وتعتبر كذلك الفكرة أو الماهية من بين المفاهيم الأساسية داخل المنظومة الظواهرية، فبالنسبة لهوسرل تعتبر الفكرة هي

---

(15)-Husserl – edmund, Philosophie comme science, rigoureuse, puf, 1989, p :69.
(16)-Hegel, Welheim, la logique, édition lasson 1972, tom 1, p :29.
(17)-Merleau, Penty, maurice sens et non sens, Nagel, 1975, p :54.
(18)-Russ – Jaqueline, Philosophie : les auteurs, les œuvres, Bordas, 1966, p :387.

الوعي النهائي للأشياء وهي مستقلة تمام الاستقلال عن جزئياتها، فعلى سبيل المثال جوهر المثلث هو مجموعة الخصائص التي بدونها لا يمكن أن يكون لهذا المثلث وجود،[19] ويعتبر مفهوم القصدية مركز الظواهرية هذا المفهوم الذي أخذه هوسرل عن أستاذه عالم النفس النمساوي فرانس برانتانو، ومعناها أن الوعي هو الوعي بشيء ما،[20] وهذه القصدية لا تحمل أي معنى دون الحدس الماهوي والذي يتمثل دوره في حدس الماهيات،[21] وبالإضافة إلى هذه المفاهيم نجد مفهوم الاختزال الماهوي والذي يتجلى في إقصاء العناصر المادية للمعطيات الحسية للوصول إلى الماهية الخالصة، وأخيرا نجد مفهوم – الإيبوخيا– هذا الأخير أخذه هوسرل عن السفسطائيين، ومعناها وضع العالم بين قوسين دون إصدار أحكام ما أي وصفه كما هو في الواقع وليس كما يبدو للذات الإنسانية، ويعتبر الاختزال الظواهري مرادفا لهذا المفهوم.[22] وبعد هذا التأسيس المفاهيمي، سنحاول أن نبحث في أعماق نظرية المعرفة الظواهرية عند هوسرل، وعن أهم خصائصها وطبيعتها، مفاهيمها، قوانينها، أبعادها وغاياتها.

طبيعة وخصائص نظرية المعرفة عند هوسرل:

لقد حاول هوسرل أن يؤسس الفلسفة كعلم صارم، وذلك في بداية القرن العشرين أين سيطرت النزعة الوضعية، هذه الأخيرة التي كانت ترفض كل ما لا يملك صفة العلم ومن هذا المنطلق حاول هوسرل أن يؤسس معرفة نوعية تعتمد على العقل الكوني الشمولي الذي أسسه الإغريق وجعلوا منه عقلا في ذاته دون أية منفعة مادية وهذا هو ما كانت تسعى إليه فلسفة هوسرل.

نظرية المعرفة ومفهوم الظواهرية:

ماهي الظواهرية في تصور هوسرل؟ بالنسبة لهوسرل هي دراسة الظواهر أو مجموعة من الظواهر حيث يقول هوسرل: "إن الفلسفة كانت تمثل على الدوام تلك الرغبة الثابتة للإنسانية من أجل المعرفة الخالصة والمطلقة".[23]

فبالنسبة لهوسرل تعني الظواهرية العودة إلى الأشياء نفسها لوصف ما يظهر، ومن أجل بناء علم للماهيات وإلا فإن كل تفكير يبقى مستحيلا، حيث يقول في هذا الصدد: " إن الظواهرية الخالصة أو المتعالية لا تهتم بالوقائع وإنما بالماهيات وذلك هدف تأسيس علم معرفته الأولى وهي الماهيات وليست الوقائع." [24]

إن فلسفة هوسرل تمثل بالفعل مذهبا للماهيات فالمعرفة الحقيقية عنده تهدف إلى إدراك الأشكال المطلقة التي تساعد على ممارسة الفكر، والتي بدونها لا يمكن للأشياء أن تكون على نفس الشكل التي هي عليه.

إن الماهيات مستقلة عن الخصائص، والمنهج الظواهري في هذه الحالة يتمثل في إظهار القوانين الأساسية التي تحكم الماهيات، ويتم ذلك طبعا عن طريق الاختزال الماهوي، أي إقصاء العناصر المادية للمعطيات الحسية لغرض الوصول إلى الماهية الخالصة والشاملة، وفي هذا الصدد يقول: " للكشف عن الماهية التي لا تتداخل مع

---

[19]-Ibid, p:387.
[20]-Ibid, p:387.
[21]-Ibid, p:387.
[22]-Ibid, p:387.
[23]-Opp-cit, la philosophie comme science ripoureuse, p:12.
[24]-Opp-cit, idées directrices phénoménologie, p :07.

الفكرة المجردة، وإنما هي شيء آخر مخالف يتم عن طريق الاختزال الماهوي، هو طريق يقوده إلى الماهية الخالصة بإقصاء عناصره المادية، وبالتالي يكون علم الماهيات ممكنا".[25]

فعلى سبيل المثال إذا أردنا فهم الانفعال، الخيال الرغبة، والأهواء. يجب قبل كل شيء الرجوع إلى هذه الماهيات كأصل يقودنا إلى التفكير وفي نفس الوقت هو الذي يقود النظرية، ومن هنا يختلف ويتميز هوسرل عن أفلاطون في أن الظاهرة تجد لها تجليا كاملا في الماهية، وفي هذا السياق يقول: " إن الاتجاه إلى الأفكار بشكل عشوائي يعني أننا أصبحنا لا نملك القدرة على تحويل فضاء الحدس الذي نجده في فضاء الأحكام، وإن الفكرة في نهاية الأمر هي الماهية، والكل يستعملها في هذا العالم من خلال عملية تفكيره".[26]

الكوجيتو المؤسس:

لقد حاول هوسرل البحث عن أسس المعرفة من خلال الدقة التي تملكها الفلسفة حسب رأيه، ولكن بالرغم من ذلك حاول هوسرل إعادة اكتشاف تلك الذاتية المؤسسة للمعرفة والتي أنكرتها وتجاهلتها النزعة الوضعية، وفي هذا السياق يقول: " إن ما يميز النزعة الوضعية هو إرجاعها، الأشياء إلى مجرد وقائع علمية".[27]

وانتقد أيضا النزعة النفسانية، فإذا كانت الأولى أي النزعة الوضعية ترى في الوقائع مجرد ظواهر علمية بسيطة وأن همها الرئيسي هو المعرفة الموضوعية، دون أدنى وجود أو حضور للذات، فإن النزعة النفسية، كانت تهدف إلى تحليل الحقائق إلى مجرد معطيات نفسية خاضعة لقوانين وصيرورة النفس الإنسانية، ففي كلتا الحالتين يبقى (الأنا المفكر) مقصى من مجال المعرفة، وهو الذي يمثل في حقيقة الأمر أصل كل المعارف، إذ يقول هوسرل في هذا السياق: " إن ما هو نفسي هو في حقيقة الأمر ظاهرة تمشي وتعود ولا تحافظ على هويتها وثباتها، فهي وجود غير موضوعي في منظور العلوم الطبيعية، وبالتالي لا يمكن تحليلها كما هو الشأن في علوم الطبيعة".[28]

ولحل هذه المسألة اعتمد هوسرل على الاختزال الظواهري أو الإيبوخيا أي وضع العلم الموضوعي بين قوسين دون أي اعتقاد وجودي إتجاه هذا العالم، وهكذا يمكن رد الاعتبار، وفي هذا السياق يقول: " إنني لا أنكر أن هذا العالم مثل السفسطائيين، ولا أجعل وجوده مشكوك فيه مثل الشكاك، وإنما أستعمل الإيبوخيا الظواهرية التي تمنعني بشكل مطلق أن أصدر حكما حول الوجود المكاني والزماني".[29]

إن الاختزال الظواهري بالنسبة لهوسرل هو الخطوة الأولى لرد قيمة الكوجيتو، ثم تأتي الخطوة الثانية، وهي الاختزال المتعالي، أي وضع الأنا المادي بين قوسين لكي يصل إلى الأنا الخالص ومن ثم نصل إلى الكوجيتو المؤسس للمعرفة، حيث يقول: " إن الكوجيتو هو المبدأ الحقيقي لكل فلسفة، وبالخصوص الأنا المتعالي الذي يعني الوعي كمبدأ أخير لكل معرفة، وعندما تتحقق لا يصبح أي مجال أو مكان للإيبوخيا".[30]

---

[25]-Ibid, p:33.
[26]-Ibid, p:73.
[27]-Opp-cit, la philosophie comme sauce rigoureus, p :20.
[28]-Ibid, p:45.
[29]-Opp-cit, idées directrices phénoménologie, p :102.
[30]-Ibid, p: 104.

لم يضع هوسرل تصنيفا قائما بذاته للعلوم، لكن بإمكاننا أن نستخلص تصنيفا من خلال مؤلفه الشهير "أزمة العلوم الأوروبية" الفلسفة كعلم للماهيات، وعلم الحياة، علوم الطبيعة ثم الرياضيات والمنطق.

ملاحظة 1:

يمكن أن ندرج كذلك العلوم الروحية والميتافيزيقية داخل هذا التصنيف بمثابة انقاذ لأزمة أوربا (العودة إلى التقاليد الروحية الإغريقية).

ملاحظة2:

ويمكن أن نضيف إلى هذا التصنيف علم الإغريقيات La grécologie أي الدعوة الهوسرلية الدائمة للعودة إلى الإغريق لأنهم هم الأوائل اللذين أسسوا نزعة إنسانية.

القصدية وعلاقتها بنظرية المعرفة:

إن الوعي عند هوسرل ليس وعيا مجردا وإنما هو وعي يجعل من القصدية مبدأ لوجوده وحياته وفي هذا الصدد يقول: " إن القصدية ليست محتوى، وإنما هي غاية اتجاه الأشياء، لها تيار متدفق، حركة وانفجار".[31]

إن هذه الفكرة، أي فكرة القصدية أخذها من عالم النفس النمساوي فرانتز برنتانو، ويعبر عنها هوسرل قائلا: "إن كل وعي بشيء ما، إنه قصد وغاية وتعالي خالص".[32]

إن مفهوم القصدية مفهوم مركزي وأساسي في ظواهريته فبواسطتها ينفتح الإنسان على عالم ويخرج عن ذاته المغلقة، وفي هذا الصدد يقول هوسرل: " مع القصدية يختفي ذلك الصراع بين الذات والموضوع، لأن القصدية هي علاقة وتبادل بين الشيء والوعي".[33]

ومن هنا يمكن لهوسرل أن يدعي أنه قد تجاوز ذلك الصراع التقليدي بين الذات والموضوع في نظرية المعرفة، لينقلب الموضوع إلى حوار منسجم ومتكامل فيما بينهما أي بين الذات والموضوع، وهكذا نستنتج أن الظواهرية ومن خلال هذه القصدية حاولت العودة إلى الأشياء نفسها ليست تلك الأشياء المادية الملموسة، وإنما تلك الأشياء كمعطيات خالصة، إنها غناها في الماهيات، وفي الذاتية الحية والتي بدونها لا تجد أي معنى يذكر للطبيعة وفي هذا الصدد يقول: " إن اليأس الفكري والثقافي لعصرنا، أصبح غير مسموحا فما نعاني منه هو فقدان معنى للحياة إنه يأس يشمل كل وجودنا".[34]

هوسرل واليونان والدلالات الكبرى للظواهرية:

لقد حاول هوسرل أن يفكر من خلال التقاليد المعرفية الإغريقية والدليل على ذلك، تلك النصوص الكبرى التي كتبها وأبدعها في مؤلفه الشهير أزمة العلوم الأوروبية، إذ نجده يعترف من خلال هذا المصدر بأهمية الإغريق في كل ما أبدعوه في مجال الفلسفة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجده من خلال هذا الكتاب يقيم تحالفا ويمضي

---

(31)-Ibid, p:111.
(32)-Ibid, p: 114.
(33)-Husserl, edmend, Méditation cartésiennes, vrin, 1963, p: 28.
(34)-Opp-cit, la philosophie comme science rigoureuse, p :79.

وثيقة اعتراف بأفضلية الفكر اليوناني على الحضارة الأوروبية المعاصرة، فبالنسبة إليه، الإغريق هم رمز خالص للحقيقة وللفكر الإنساني المحض، وفي هذا الصدد يقول: " إن الإغريق عبروا تعبيرا دقيقا عن العقل، الذي أخرجوه من المتخفي إلى الوضوح، عن طريق الفهم، الذي فتح ممكنات عديدة وكثيرة، وبالخصوص إمكانية الميتافيزيقا كحقيقة معتبرا هذا الطريق هو أعظم موصل للإنسانية التي من خلالها تتجلى عظمة الإغريق، وما هذه الميتافيزيقا إلا تعبير عن فلسفة كونية، عبرت عن المعرفة في ذاتها، وحددت فيما بعد الأبعاد الغائية للإنسانية الأوروبية".[35]

هكذا ومع ميلاد الفلسفة اليونانية، ولدت حقيقة الثقافة الأوروبية، هذه الأخيرة المبنية على أسس العقل اليوناني ولا يمكن أن تكون إلا كذلك في حركة لا نهائية من خلالها انتقل العقل إلى مرحلة الوضوح والتجلي، وفي هذا الصدد يقول: " إن هذا الإرث الإغريقي، وبالرغم من بعده الزمني إلا أنه يعبر عن التاريخ الإنساني الحق للحضارة الأوروبية الذي فرض نفسه كماهية على ذات الإنسان الأوروبي".[36]

إن هذه النصوص المأخوذة من مؤلفه تعبر عن الكثير من الحقائق التي تؤكد على أنه بالرغم من الاختلاف الزمني بين الناس عبر مختلف العصور وما أنتجوه فإن منهم من يحدد هوية المعارف وأسسها ومنهم من يواصل على هذا المنوال، ومنهم من يخالف ذلك، هذا هو التمثيل الحقيقي الذي نستقرئه من خلال نصوص هوسرل حول الإغريق، فبالفعل يؤكد هوسرل على أن الثقافة الأوروبية في الكثير من الأحيان كانت امتداد واستمرارية للعقل اليوناني، وفي أحيان أخرى خالفت واختلفت عن هذا المسار بالرغم من أن الإغريق حسب هوسرل هم اللذين فتحوا لعبة الممكنات للعقل الأوروبي لاحقا، هذه الأخيرة التي عبرت فعلا عن هويته، وعن حريته، لكن هذا العقل الأوروبي عندما لم يفهم ممكنات هذا العقل وقع في أزمة فدخل مرحلة اللاإعتراف بقدرات هذا العقل وفي هذا الصدد يقول هوسرل: " إن أوروبا باعترافها أن وجودها الأنطولوجي والمعرفي يبدأ مع العصر الغاليلي".[37]

هذا العصر الذي ألغى عالم الحياة على حساب عالم المادة[38]وإن حل هذه الأزمة في تصور هوسرل لا يتم ولا يكون إلا من خلال الفلسفة الإغريقية، لأن هذه الأخيرة كانت تأكيدا على البعد الإنساني وإن الإنسان الإغريقي أسس حقائقه على تقاليد روحية محضة لا وجود لها، في العلم المادي الذي أسسه غاليلي وفي هذا الصدد يقول: "إن غاليلي تريضيه الطبيعة فتح الباب أمام علم الوقائع المقطوع والمبتور عن عالم الحياة والفلسفة".[39] إن غاليلي في تصور هوسرل هو سبب أو أصل العلم المادي لعصرنا هذا العصر الذي جعل من الوقائع المادية حقيقته الرئيسية، هذا العلم المادي الذي أوصلنا إلى النزعة الوضعية، وفي هذا الصدد يقول هوسرل: "إن مفهوم الوضعية في العلم أقصى كل مشاكل العقل، والمسائل الميتافيزيقية كمعرفة القيم، الأخلاق، الله والتاريخ، هذا ما جعل العلم مجرد أجزاء متقطعة وانتهت وحدة المعرفة والعلم".[40]

---

[35]-Husserl Edmend, la crise des sciences européennes, et la phénoménologie trancendantale, Gallimard, 1989, p: 41.
[36]-Ibid, p: 42.
[37]-Ibid, p: 43.
[38]-Ibid, p: 47.
[39]-Ibid, p: 49.
[40]-Ibid, p: 51.

ويحدد هوسرل دور الفيلسوف في تسميته الشهيرة "إنه موظف الإنسانية" ومعنى ذلك أنه يجمع العقول ويوحدها في كل مكان ويبعدها عن التراجيديات والأزمات التي سببها العلم المادي وبتعبير آخر، إنه طبيب الإنسانية الذي يعطيها العلاج عندما تفقد قيمتها ومعناها في هذا الوجود.

مفهوم الإنسانية وإمكانية الفلسفة عند هوسرل:

إن المقصود بالإنسانية عند هوسرل يتخذ معاني مجردة وفي الوقت ذاته معاني مفردة وجزئية ترتبط بتطور الإنسان عبر تاريخه وعبر تاريخ المعرفة بشكل عام، والعلوم الإنسانية بشكل خاص، إن الإنسانية التي ينشدها ويسعى إليها هوسرل مرجعها دائما الإغريق، وفي هذا الصدد يقول: " إن ما نسميه إغريقي هو تلك الإنسانية القادرة على الإمكانية الفلسفية، إن تسميتها بهذا الاسم لا يعني أن الإغريق هم اللذين أسسوا أول إنسانية وحقوقها وإنما كلما حدثت أزمة، فإننا نجد في النص والفعل الإغريقي حلا لهذه الأزمة الإنسانية".[41]

إن الحضارة الحديثة بالرغم من حضور علوم الرياضيات وعلوم الطبيعة فيها، إضافة إلى المشكلات الميتافيزيقية الكبيرة، لم تستطع لحد الآن إدراك فكرة الإمكانية المتمثلة في جوهر العمل الفلسفي المتمثل في فكرة الإنسانية، في هذا الصدد يقول: " إذا كانت الإنسانية والتاريخ الإغريقي هما الإنسانية والتاريخ اللذان أسسا لأصل مقولة الوجود – الإنسان، فإن الإنسانيات اللاحقة تسكن بالقوة في هذه الإنسانية والتاريخ أو بمعنى آخر هي كشكل من المادة الطبيعية اللانهائية التي لم تجد صانعها فتوقفت"[42]

ويرى هوسرل بشكل يائس أنه قد لا تتحق هذه الإنسانية وبالتالي ستعيش أوروبا في خطر دائم، لكن الخطر الأكبر هو أن لا يفهم شعبا أو أمة ما حقيقة هذه الإمكانية التي هي تعبير جوهري عن فكرة الإنسانية، وفي هذا الصدد يقول: " إن شعبا ما عندما لا يفهم هذه الإمكانية، ولا يعترف بها ولا بنفسه، فإنه سيدخل مرحلة الوجود الخرافي".[43]

ومن خلال هذه النصوص والفقرات إن هوسرل يحاول أن يحيي في الإنسانية الأوروبية فكرة الفصل أي ما يفصلنا عن الإنسانيات الأخرى كشعب واحد يعرف الحقيقة والوجود وبمعنى آخر يسكن هذه الحقيقة وهذا الوجود ويكملها.

وفي هذا الصدد يقول: " من خلال الفصل يمكن أن تقرر الإنسانية الأوروبية هل تحمل فكرة المطلق؟ أو أنها مجرد فكرة ذات طبيعة أنثروبولوجية كما نجدها في الصين والهند، وفي نفس الوقت يمكن لها أن تقرر تكييف كل الإنسانيات الأجنبية المغايرة لثقافتها لتكمل فهمها لمعنى الوجود"،[44] لكن عندما نأخذ بهذا التصور، فإننا سندخل في ما يسمى المركزية الثقافية حتى لا تذوب وحدة أوروبا ولا تقلق عن مصيرها إضافة إلى كل هذا يمكن أن نؤكده إلى جانب هوسرل على فكرة اختلاف الإنسانية الإغريقية بالمقارنة مع كل الإنسانيات الأخرى، لكن

---

(41)-Ibid, p: 57.
(42)-Ibid, p: 63.
(43)-Ibid, p: 57.
(44)-Ibid, p: 63.

بدون قطيعة صارمة وإنما في إطار تواصلي واستمراري حتى لا تموت هذه الثقافة الأصل ويعترف هوسرل بأن أوروبا مريضة ويدعو الآخرين لا سيما الساسة المثقفين والعلماء إلى الاعتراف بمرضها والأكثر من ذلك فهو يدعو إلى جرأة الاعتراف وفي هذا الصدد يقول: " إذا أردنا أن نوحد الأرض والشعوب، بعقل منتج لا نهائي، خالص وواعي يجب أن نعي و نعترف بهذه الأزمة".[45]

ثم إن السؤال الذي ملأ طيات وصفحات مصدر هوسرل "أزمة العلم الأوروبية" هو: هل هناك أزمة أوروبية حقيقية؟ وإذا كانت موجودة فما هو مصدرها؟ لقد حاول هذا المصدر الإجابة عن هذه التساؤلات في إطارها التاريخي، وفي دلالتها الماهوية وبعدها الغائي ومن خلال أسسها فإنه من المؤكد أن هوسرل أمضى وثيقة اعتراف يشارك فيها كل الأطراف سواء كانت تنتمي إلى المجتمع المدني أو المجتمع السياسي.

إن الإنسانية الحديثة لم تصبح في تصور هوسرل تؤنسن الإنسانيات الأخرى، بتعبير آخر لم تقم بتحديثها وبالتالي بم يتم الاعتراف بها لأنها كانت محدودة وجزئية وأنثروبولوجية أي تخص فضاء ثقافي واحد دون الفضاءات الإنسانية الأخرى، إضافة إلى ذلك ليس لها أي سلطة على نشر قيمها في العالم بسبب عدم امتلاكها الممكنات التي كانت تمتلكها الإنسانية الإغريقية، هذه الأخيرة التي جعلت من مفهوم الوجود والحقيقة مفهومين جديدين من حيث الفهم والوظيفة وفي هذا الصدد يقول هوسرل: " إن الإنسانية الغربية الحديثة أصبحت غريبة عن تلك الإنسانية التي رسمها الإغريق أنفسهم.

إن الإنسانية الغربية الحديثة، اختفى منها الجوهر ليحل محله العرض، وأصبح الإنسان الغربي بمثابة عبد يتحمل نتائج قدره وتحول بالتالي إلى ديكتاتور يقود الآخرين، وهذه هي الأزمة الحقيقية للإنسانية الأوروبية الحديثة".[46] وللخروج من هذه الأزمة، وإعادة الاعتبار للإنسانية يقدم هوسرل لذلك علاجا جوهره الظواهرية الخالصة، هذه الأخيرة طبقها على تاريخ تطور هذه الأزمة في أوروبا، ففي المرحلة الأولى يرى أن الأزمة مصدرها تاريخي، وفي المرحلة الثانية يرى أن مصدر هذه الأزمة غاليلي الذي جعل من العلم مجرد وقائع مادية، وفي هذا الصدد يقول هوسرل: " إن العلم الغاليلي فضل عالم المثاليات الرياضية المجردة و تناسى عالم الحياة، وعالم الحس الأصلي، والعالم المحاور للحياة، مما جعل هذا العلم يفقد المعنى الحقيقي المتمثل في الإنسانية".[47]

إن هذا النسيان لعالم الحياة والأشخاص عند غاليلي في تصور هوسرل معناه أن العالم الحقيقي واليقيني الوحيد يتمثل في الموضوعات الرياضية المجردة بالتالي إقصاء تام وجذري لكل تجارب الحياة، وهذه هي الأزمة الحقيقية للإنسان الأوروبي الحديث وفي هذا الصدد يقول: " إن غاليلي في رؤيته التي يوجهها للعالم انطلاقا من الهندسة، وانطلاقا من ما هو حسي ومريض، يجعل من الذوات الإنسانية وقائع مجردة تحمل في ذاتها حياة فردية وشخصية".[48]

---

[45]-Ibid, p: 67.
[46]-Ibid, p: 82.
[47]-Ibid, p: 83.
[48]-Ibid, p: 85.

ويواصل هوسرل تتبعه لصيرورة تطور الأزمة من خلال ديكارت وكانط باعتبار هما الطريق الثالث لهذه الأزمة، فبالنسبة لديكارت، يرى هوسرل أنه العبقري المؤسس لأصله الفلسفة الحديثة التي أسسها من خلال الأنا المفكرة، لكن بجعله هذه الأنا وسيلة لا غاية فشل في وضع الأسس الحقيقية للفلسفة المتعالية، وفي هذا الصدد يقول هوسرل: " إن ديكارت بفصله الروح عن الجسد، عوض أن يؤسس للثنائية التي تعبر عن حقيقة إنسانية الإنسان، فإنه عكس ذلك أسس لتمفصل جنى منه الإنسان ما هو سلبي أكثر مما هو إيجابي، وبالتالي فإن ديكارت فشل في مشروعه الواقعي وأما كانط فبقي سجين علم النفس الطبيعي، الذي سيطر في عصره فعوض أن يؤسس لعلم كلي نجده قد وقع في النزعة النفسانية الطبيعية، التي لا تعترف بالمشاكل المتعالية".[49] وعندما نخرج من هذه النزعة النفسانية يمكننا أن ندخل حقيقة إلى الظواهرية المتعالية، وفي هذه الحالة يصبح الأنا مصدر المعنى للوجود وفي هذا الصدد يقول: " إن كانط أسس لعلم من خلال نموذج علوم الطبيعة، فوقع في النزعة النفسانية الطبيعية متصورا أنه يؤسس لجوهر علم كلي، لكنه في حقيقة الأمر أسس لمجرد وجود نفسي طبيعي خاضع لقيود النزعة الطبيعية التي تقصي المشكلات المتعالية".[50]

لكن ما هو الحل الذي يقترحه هوسرل لهذه الأزمة؟

إن العلاج الحقيقي في تصوره يتمثل في مساءلة عالم الحياة وإكثار طرح السؤال حوله باعتباره عالم متحرك، حي وديناميكي، تقوده وتحركه الذاتية المتعالية التي يرى هوسرل أنها جوهر العلم، وهكذا يمكننا أن نعود بشكل جذري، راديكالي إلى المعنى الأصلي للعالم، وبالتالي نعود إلى الأشياء نفسها أن تتحقق الإنسانية الحقيقية، وفي هذا الصدد يقول: "إن الفلسفة هي إعادة تجديد وعي الإنسانية، وتجديد معناها وفهمها للوجود، ومن هنا فقط يمكن أن يتم إقصاء الموضوعانية التي رسما العلم الغاليلي، والعودة إلى الأشياء نفسها أي إلى عالم الحياة".[51]

نستنتج من هذا كله أن هوسرل أعاد اكتشاف تلك الذاتية الحقيقية المؤسسة للعلم وهي جوهر الحقيقة في تصوره، وأن الفلسفة والعقل هما البطلان الحقيقيان اللذان بإمكانهما إخراج العالم والإنسانية من أزمة المعنى التي رسمها العلم الغاليلي.

لكن في عام 1935 كتب هوسرل نصا بعنوان :" الفلسفة كعلم صارم" يعبر فيه عن تشاؤمه من هذه الوضعية التي قد لا نجد لها حل، كاتبا يقول: "إن الفلسفة كعلم صارم، أي علم جدي وصارم بالبداهة والإلزام يجب يكون صارما: إنه حلم قد انتهى."

---

[49]-Ibid, p: 102.
[50]-Ibid, p: 107.
[51]-Ibid, p: 297.

خاتمة:

يؤكد أركون في كتابه هذا أن النزعة الإنسانية ليست حكرا واستثناءا على الغرب، بل وجدت هذه النزعة كفكرة وكقيمة وكأسلوب في الفكر العربي، وبالخصوص الكلاسيكي منه، والدعوة إلى هذه النزعة في تصور أركون مرجعها إلى أن العقل الغربي الراهن يميل إلى الهيمنة على الآخرين بسبب قوته العلمية، التكنولوجية الإقتصادية، المصرفية والعسكرية، إلا أنه يعاني الآن من أزمات حقيقية لأنه قد حذف من أفقه وبشكل متتابع تصورات كثيرة عند الله، الروحانية والذات الإنسانية النابضة بالحياة والإرادة، وحل محل ذلك الفرد المواطن الذي حل محل الذات الإنسانية وذلك بصفته حجر الأساس في دولة القانون الحديثة المشهورة بالحياد كما يؤكد أركون أن الخطاب الإسلامي المعاصر يهاجم بشدة مادية الغرب واللاأخلاقيته المزعومة، ويركز هذا الخطاب على أهمية التعاليم الروحانية والأخلاقية في الإسلام، وهكذا يقدم الإسلام نفسه بصفته نموذجا للعمل التاريخي أكثر تفوقا وعلوا ونجاعة وكفاءة من نموذج الغرب بكثير، ضف إلى ذلك أن الفكر الإسلامي مليء بالشخصيات الفكرية التي دعت إلى هذه النزهة، وعلى رأسها ابن مسكويه، هذا الأخير الذي عبر في كتاباته عن الإنسان اللاإنسان، الفرد أو الإنسان المواطن، أو الإنسان الجزئي بغض النظر عن الشروط السوسيولوجية، العرقية والدينية، وبالتالي فإن الموقف الإنساني عند ابن مسكويه يتمثل في تجاوز كل هذه الشروط التي تحاول الحد من إمكانية الروح البشرية أو تحول دون تفتحها وانطلاقها، إضافة إلى ذلك فإن هذا الموقف الإنساني عن مسكويه يمثل نضالا دؤوبا وعنيدا لمقاومة كل ما يريد أن يسحق إنسانيته، أو أن يقضي على حريته، ولهذا فإن النزعة الإنسانية التي يعتبر الإنسان مركزها، لا ترتبط بمدى الغنى الاقتصادي أو التقدم التكنولوجي للمجتمع بقدر ما هي احترام لحقوق الروح، وهذا ما دعى إليه ابن مسكويه من خلال مصادره الشهيرة: "تهذيب الأخلاق والفوز الأصغر" لكن هل فعلا استفادت المجتمعات العربية الإسلامية من هذه الأفكار؟ أم بقيت هذه الأخيرة مجرد تراث ميت ومنسي؟

لقد أثرت نظرية المعرفة عند هوسرل على الهيرمونيطيقا الجديدة التي يمثلها الفيلسوف الألماني جورج هانز غادامير إذ استمد غادامير من هذه النظرية العناصر الكثيرة وعلى رأسها مفهوم الوجود، الحقيقة، الذات، الموضوع، العلم والإنسان، وبالإضافة إلى ذلك لقد وظف غادامير هذه النظرية لعدة أسباب يمكن ذكرها في ما يلي:

السبب الأول هو أن هوسرل فتح في فلسفته وبالخصوص في نظريته للمعرفة آفاقا للتأويل، والسبب الثاني فيتمثل في الجانب الروحي للفلسفة الظواهرية الذي يتماشى مع الطابع الروحي للهيرمونيطيقا من جهة، وحياة جورج هانز غادامير الفكرية من جهة أخرى، وأما السبب الثالث هو أن هوسرل انتقد العلوم الأوروبية التي اعتمدت على نظرية معرفة مادية تجريبية مما جعل غادامير يوظفها في فلسفته التأويلية التي تبحث عن مكانة قيمة الرموز في حياتنا داخل نظام من الحوار والانسجام والتواصل، وهكذا ما أكدته نظرية المعرفة الهوسرلية. لقد نظر غادامير للعلوم الإنسانية من خلال أعمال كثيره أهما "حقيقة الروح"، "الوعي التاريخي"، "الفلسفة الهيرمونيطيقا".....وذلك اعتمادا على مرجعيات كثيره أهمها نظرية المعرفة الهوسرلية وذلك لطابعها المركب، بين العلم والأنطولوجيا القائم على ثنائيتي الفهم والتفسير للوجود الإنساني.

محددات حجم ونوع الأسرة المعيشية الجزائرية من خلال مسح صحة الأسرة والطفل 2002

راشدي خضرة[52]

تمهيد:

تعتبر الأسرة وحدة أساسية في المجتمع والاطار الذي يتم فيه الزواج، الانجاب والعلاقات الاجتماعية. كما يعكس تغيرها التحولات الديموغرافية والاجتماعية والثقافية التي تؤثر على بنيتها، شكلها وحجمها.

ولتفسير وتحديد أسباب نووية الأسرة وتقلص حجمها، تتعدد المقاربات والنظريات فمنها ما ترجعها الى التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في اطار التحديث، التحضر والتصنيع (T.Parsons)، أو عوامل اجتماعية ونفسية (Caldwell) أو إلى استراتيجيات الانتاج المؤسسة على المادية (Marks et Engels)، وغيرها من الأفكار والرؤى التي لم تستطع ايجاد تفسير أو نظرية عامة بسبب أن المجتمعات تختلف فيما بينها وحتى في المجتمع الواحد في الثقافات والعادات والاعتقادات التي تؤثر في تكوين الأسرة وشكلها. ولكن ما من شك أن النموذج النووي رغم قدمه فهو النموذج الأكثر شيوعا مقابل تراجع كبير للنموذج الممتد والموسع وفي نفس الوقت تقلص الحجم إلى مستويات منخفضة أو متوسطة بسبب خاصة تراجع الخصوبة. ولإن كانت العلوم الاجتماعية قد أسهبت كثيرا في دراسة الأسرة، فإن الديموغرافيين قد أهملوا ولفترة طويلة تحليل حجم وبنية الأسرة المعيشية، محددات ونتائج تحولاتها.[53] وانطلاقا من فرضية أن للعوامل الديموغرافية المصاحبة للتحولات السوسيواقتصادية دور كبير في تحديد حجم ونوع الأسرة المعيشية فإن هذه الدراسة ستتطرق لذلك بحكم أن كل الدراسات التي تناولت هذه المحددات إنما استقتها نظريا في الوقت الذي سنحاول فيه أن نحددها بنمذجة احصائية.

1-المفاهيم و المصطلحات الاجرائية المستعملة في الدراسة :

الأسرة: مجموعة من الأفراد يرتبطون فيما بينهم بروابط الدم أو الزواج او المصاهرة.

الأسرة المعيشية :وهو التعريف المعتمد في الإحصاء العام للسكان والسكن والمذكور في الاستمارة " مجموعة من الأشخاص يعيشون في نفس المسكن تحت مسؤولية رب الأسرة يحضرون ويتناولون عامة الواجبات الرئيسية معا. هؤلاء الأشخاص يرتبطون في الغالب فيما بينهم بالدم، الزواج أو المصاهرة.

- شخص واحد يكون أسرة معيشية.

-الأسرة المعيشية تضم أسرة أو أكثر (حيث الأسرة هي زوجين مع أو بدون أطفال).

نوع الأسرة المعيشية: وظفنا في دراستنا هذه نوعين من الأسر المعيشية: الأول نووي وهو المكون من الأسرة النووية في معناها الضيق والمنحصر في الوالدين مع أو بدون أطفال عزاب أو أحدهما واطفاله العزاب. والنوع الثاني غير النووي وهو ما تبقى من الأسر المعيشية التي تختلف عن النوع الأول.

---

(52)- أستاذة بقسم العلوم الانسانية ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مستغانم.

(53)- Bongaarts, J. " Household size and composition in the developing world in the 1990s ", *Dirasat Sukkaniyah*, Vol. 55, N°. 3, 263-279.2001.p263.

حجم الأسرة المعيشية: ونقصد به عدد الأفراد الذين يعيشون ويقيمون بصفة دائمة حتى يوم اجراء المسح في الأسرة المعيشية كما عرفناها سابقا.

2-البيانات و طريقة التحليل

2-1-البيانات المستعملة و محدوديتها

إن البيانات المستعملة في هذه الدراسة تخص مسح 2002 وهي البيانات الوحيدة والحديثة والتي استطعنا الحصول على قاعدتها كاملة والتي سمحت بالوصول إلى هدفنا. هذا المسح خاص بصحة الأسرة أجري سنة 2002 على عينة احتمالية قدرت بـ19233 أسرة معيشية توزعت على مختلف الولايات وفق المناطق الصحية الأربع(الشرق،الوسط، الغرب والجنوب) وكانت الأهداف المرجوة منه كما جاءت في التقرير النهائي والكامل هي:[54]

1. توفير معلومات أساسية للسلطات العمومية حتى تتمكن من وضع، متابعة وتقييم السياسات الصحية للسكان.
2. المساهمة في تحسين البرامج الصحية خاصة الصحة الانجابية عن طريق تحديد واثراء المعطيات الموجودة.
3. للحصول على أدوات ضرورية تسمح بوضع سياسات سكانية جهوية .
4. الحصول على مؤشرات تسمح بالمقارنة مع الدول العربية وتقييم المجهودات المبذولة في الميدان الصحي.

وللوصول إلى هدفنا أعلاه فإننا اتبعنا مجموعة من الخطوات للاستغلال الأمثل للبيانات أهمها معرفة المتغيرات التي نحتاجها ومدى توفرها وقابلية استغلالها كما قمنا بخلق متغيرات جديدة من خلال المتوفرة منها ونظرا لأن الأهداف الحقيقية للمسح هي أهداف تخدم في المقام الأول الصحة فإن استغلالها لدراسة الأسرة تطلب مجهودا شخصيا كبيرا لخدمة هدفنا خاصة أننا لاحظنا وجود غياب الكثير من المتغيرات والمعلومات الهامة، تطلب اتخاذ استراتيجية خاصة للتحليل. فبيانات هذا المسح لا تشير كما لا تسمح بمعرفة عدد الأسر المعيشية داخل المسكن الواحد فمن خلال الاطلاع على العدد الكامل بما فيه عدد الأفراد الذين يكونونها، نجد أننا أمام أسرة معيشية واحدة داخل مسكن واحد وكان من المستحيل معرفة العدد الحقيقي في ذلك ، فعودة إلى البيانات نجد مثلا وجود عدد كبير من الأفراد في نفس الأسرة المعيشية يتعدى مثلا 10 أفراد ونجد التصريح برب أسرة معيشية واحد والاطلاع على باقي الأفراد يجر الى الاعتقاد بوجود أكثر من أسرة معيشية واحدة ما لم تكن أسرا تعيش معا (famille) خاصة أن كل استمارة موجهة لأسرة معيشية واحدة (questionnaire ménage) في حين في الاحصاء العام للسكان تخصص الاستمارة للمسكن وتحدد عليها الأسر المعيشية مرقمة حسب عددها.كما نصادف غياب معلومة هامة عن رب الاسرة (chef de famille CF) في حين نجد فقط رب الاسرة المعيشية.

---

(54)- Ministère de la santé, de la population et de la réforme hospitalière ,ONS et Ligue des Etats Arabes " Enquête algérienne sur la santé de la famille2002".Rapport principal. 2004..p5.

وللقيام بالتحليل الاحصائي اعتمدنا متغيرين تابعين حجم الأسرة المعيشية و نوعها، بالنسبة للمتغير التابع الأول والذي يتمثل في حجم الأسرة المعيشية استعملنا متغير ثنائي حيث يعبر الحجم الأقل من 5 خمسة أفراد عن الحجم الضعيف والحجم المساوي أو يفوق 5 خمسة أفراد يعبر عن الحجم المرتفع وهو ما تعتمده الكثير من الدراسات السابقة التي أشرنا إليها في بداية هذه الدراسة .كما أن هذا الاختيار مرده إلى المستوى المنخفض للخصوبة والذي ينحدر تحت 3 أطفال في المتوسط، ويأخذان القيمتين 1 و0 على التوالي في التحليل. حيث حسبنا الصفتين من متغير حجم الأسرة المعيشية الوارد في البيانات.

أما بالنسبة لنوع الأسرة، فقد اعتمدنا نوعين يستجيبان لغرض الدراسة والتي تبحث في محددات نووية الأسرة المعيشية حيث استعملنا هنا أيضا متغير ثنائي الصفات :الأسرة المعيشية النووية والأسرة المعيشية غير النووية واللتان تأخذان القيمتان 1 و0 على التوالي في التحليل. وذلك بخلق متغير جديد يمثل نوع الأسرة المعيشية اعتمادا على متغير علاقة القرابة مع رب الأسرة المعيشية. ولتحديد المفهوم المستعمل في الدراسة فإننا اعتمدنا على النمط المستعمل في كل الاحصاءات العامة للسكان في الجزائر منذ 1966 والتي تعتمد على مفهوم الأسرة الزواجية في حدودها الضيقة ولهذا فإن مفهوم الأسرة المعيشية النووية المستعمل في الدراسة ينطوي على كل أسرة معيشية مكونة من :

1- زوجين وأطفالهما العزاب.
2- أو زوجين بدون اطفال.
3- أو أحد الزوجين مع أطفاله العزاب.

وهذا الاختيار يسمح أيضا بدراسة مقارنة زمنية ما دام أنه مفهوم موحد. أما الأسرة المعيشية غير النووية فهي كل أسرة معيشية تختلف عن المفهوم أعلاه أي ما تبقى من الأنماط.

واختيار المتغيرات أو العوامل المفسرة لحجم ونوع الأسرة المعيشية ارتكز على العرض السابق للدراسات التي بحثت في الموضوع وكذا على مدى توفرها في المسح المستعمل. وعامة تنقسم هذه المتغيرات إلى:

-الخصائص السوسيوديموغرافية العامة لأرباب الأسر المعيشية: الجنس، السن المستوى التعليمي، الحالة الزواجية، النشاط الاقتصادي.

-الخصائص العامة للأسرة المعيشية خاصة المستوى المعيشي، مكان الإقامة والخصائص العامة للمسكن كعدد الغرف ونوع المسكن.

كما قمنا بخلق متغير هام يتعلق بالمستوى المعيشي للأسرة المعيشية والذي قمنا بتحديده انطلاقا من عمليتين احصائيتين الأولى اعتمدت على نموذج تحليل المكونات (ACM) على ثلاث مراحل والتي سمحت من خلال العشرات من المتغيرات المتعلقة برب الأسرة المعيشية والمسكن وتجهيزاته من اختصارها في ثلاث متغيرات اعتمدنا عليها في العملية الثانية المتمثلة في طريقة TwoStep والتي سمحت بتقسيم الأسر المعيشية الى مستويين مختلفين: حسن وضعيف.

جدول رقم 1:تقدير جودة نموذج تحليل المكونات ACM في مراحله الثلاث.

dimension	1 ere ACM		2 eme ACM		3eme ACM	
	Alpa-Cronbach	inertie	Alpa-Cronbach	inertie	Alpa-Cronbach	Inertie
1	0888	0.149	0.849	0.398	0.880	0.541
2	0.719	0.069	0.60	0.20	0.585	0.325

Récapitulatif du modèle

Algorithme	TwoStep
Entrées	1
Classes	2

Qualité de classe

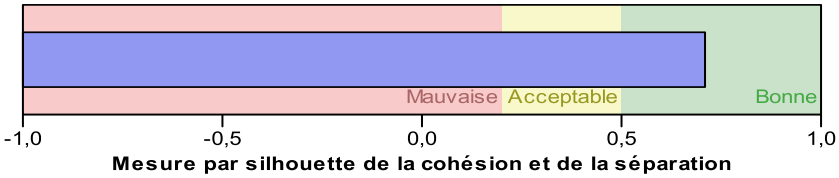

أما بالنسبة لقاعدة البيانات فتمثلت في الملف الخاص بالأسر المعيشية ويحوي 19233 أسرة معيشية والذي اعتبرنا فيه الخصائص السوسيوديموغرافية لرب الأسرة المعيشية والمسكن كمتغيرات مستقلة،

ونذكر أننا في دراستنا هذه نقيس وجود الأسرة المعيشية النووية ونبحث في حجمها الصغير لفترة زمنية محددة (2002) لأننا لا نعلم بالضبط الفترة التي أصبحت فيها هذه الأسر نووية ولا كيف تقلص حجمها لأن المعطيات المستعملة لا تسمح بذلك.

2-2-طريقة التحليل:

حتى نستطيع الحصول على أهم محددات نووية وتقلص حجم الأسرة المعيشية الجزائرية، خاصة الديموغرافية منها،حسب بيانات مسح 2002 اعتمدنا على الانحدار اللوجيستي والذي يهدف إلى ايجاد نموذج رياضي لمتغير تابع ثنائي (DICHOTOMIQUE) بدلالة مجموعة من المتغيرات المستقلة الثنائية أو المتعددة الصفات والتي تكون مستقلة فيما بينها و مبدؤه الرئيسي نمذجة احتمال وقوع أحد صفتي المتغير التابع أي الاستجابة حيث يتبع توزيع بيرنولي ويأخذ القيمة 1 باحتمال (p) و القيمة 0 باحتمال (q=1-p) أي إلى حدوث الاستجابة أو عدم حدوثها ويتم تقدير معالم النموذج بطريقة الإمكان الأعظم (maximum likelihood). وبشكل عام ، يهدف الانحدار اللوجيستي إلى تقدير قوة الارتباط بين متغير مستقل والمتغير التابع، مع الأخذ بعين الاعتبار تأثير متغيرات أخرى

تدخل في النموذج وهو لا يتطلب توزيعا طبيعيا للتنبؤات ولا تجانس التباينات ولكنه يتطلب عينات من الحجم الكبير وهو ما يناسبنا. وللوصول إلى هذا الاحتمال يكتب النموذج الرياضي على الشكل التالي:

$$Y=\ln(\frac{p}{1-p}) =\beta_0+\beta_1x_1+\beta_2x_2+.....+\beta_nx_n+\varepsilon$$

حيث:yالمتغير التابع، ويأخذ الصفتين 1و0.

والاحتمال :$p(y=1)=p:(0<p<1)$

$X_1, X_2, X_3 .....X_n$ المتغيرات المستقلة و عددها N.

وباستعمال البرنامج الاحصائي spss نقوم بالنمذجة وفق الطرق والخطوات الاحصائية المتعامل بها في هذا النوع من التحليل.

3-تحليل نتائج الدراسة

3-1-توزيع الأسر المعيشية حسب نوعها و حجمها

جدول رقم 2:توزيع الأسر المعيشية حسب نوعها ، حجمها و مكان الإقامة

مكان الاقامة	النوع		الحجم		المجموع
	نووية	غير نووية	اقل من 5	5 فاكثر	
حضر	59.8	63.8	64.8	58.2	60.8
	73.2	26.8	42.9	57.1	100
ريف	40.2	36.2	35.2	41.8	39.2
	76.4	23.4	36.1	63.9	100
المجموع	74.5	25.5	40.2	59.8	100

المصدر: الاستغلال الشخصي لمسح EASF2002

من خلال استغلال بيانات مسح صحة الأسرة والطفل 2002، وجدنا أن الأسر المعيشية النووية هي الغالبة مع ارتفاع هام في المناطق الريفية مقارنة بالحضرية وقد يفسر ذلك بشدة أزمة السكن في المدن خاصة الكبرى التي تجبر خاصة حديثي الزواج بالبقاء مع ذويهم في الوقت الذي يتعدى حجمها الخمسة أفراد بنسبة تفوق النصف خاصة في المناطق الريفية .

3-2-نتائج التحليل اللوجيستي لنوع الأسر المعيشية:

سمح التحليل اللوجيستي لمحددات نوع الأسرة المعيشية باستغلال 94%من حجم العينة وهي نسبة جد معتبرة وتسمح بقبول نتائج التحليل والتي تماشت مع توفر أهم الشروط الاحصائية فيه حيث أعطى النموذج بطريقة 'Descendante pas à pas' والتي تسمح باختيار المتغيرات المستقلة الأكثر معنوية في النموذج النهائي النتائج كالتالي (كل صفة بين قوسين هي صفة مرجعية) ونعتبر أن للمتغير معنوية كلما كان مستوى المعنوية يقل عن 5% وهو ما يعني أن هناك عدم استمرارية بين صفة المتغير المقدرة والصفة المرجعية :

جدول رقم 3:تقدير تأثيرالمتغيرات السوسيوديموغرافية لرب الأسرة المعيشية و خصائص المسكن على نوع الأسرة

Exp(B)	Sign	ddl	Wald	E.S	B	المتغيرات التفسيرية
1.135	0.003	1	8.732	0.43	0.126	مكان الاقامة(حضر) ريف
0.706	0.002	1	9.606	0.112	-0.348	الجنس(ذكر) انثى
	0.00	3	142.184			الحالة الزواجية(اعزب(ة))
4.011	0.00	1	124.672	0.124	1.389	متزوج(ة)
2.310	0.00	1	30.449	0.152	0.837	ارمل(ة)
1.972	0.00	1	14.526	0.178	0.679	مطلق(ة)
	0.014	2	8.508			نوع المسكن(فردي/تقليدي)
1.122	0.028	1	4.842	0.52	0.116	شقة
0.850	0.223	1	1.483	0.41	-0.051	سكن تقليدي
0.706	,000	1	192.166	0.050	-0.699	عدد الغرف(اقل من 4 غرف) 4 غرف فاكثر
	0.000	5	294.166			السن(15-19 سنة)
0.242	0.203	1	1.621	1.113	-0.417	29-20
0.270	0.238	1	1.691	1.111	-1.310	39-30
0.364	0.363	1	0.828	1.112	-1.012	49-40
0.283	0.252	1	1.287	1.112	-1.261	59-50
0.163	0.063	1	3.468	1.111	-2.071	60 فاكثر
	0.002	3	14.813			المستوى التعليمي(بدون مستوى)
1.103	0.057	1	3.612	0.52	0.089	ابتدائي
1.173	0.011	1	6.468	0.63	0.160	متوسط
1.275	0.000	1	13.465	0.66	0.243	ثانوي فاكثر
	0.001	4	19.874			النشاط الاقتصادي(نشيط)
1.106	0.115	1	2.479	0.064	0.100	عاطل
1.298	0.010	1	6.582	0.102	0.261	ربةبيت
0.946	0.343	1	0.900	0.059	-0.056	متقاعد
0.813	0.025	1	5.034	0.092	-0.207	اخر
1.165	0.001	1	11.213	0.046	0.153	المستوى(حسن) ضعيف
3.359	0.274	1	1.198	1.107	1.212	ثابت النموذج

المصدر: الاستغلال الشخصي لمسح EASF2002

أظهرت المتغيرات السوسيوديموغرافية لرب الأسرة المعيشية وكذا باقي المتغيرات معنوية عالية في اتجاه هذه الأسر نحو النووية. لكن الأكثر أهمية هو مكان الإقامة إذ أن تغير الأسرة من الحضر إلى الريف يزيد من أفضلية أن تكون الأسرة نووية بأكثر من مرة وقد أظهر التحليل الوصفي في هذا الفصل سيادة الأسرة النووية في كلا القطاعين ولكن بنسبة أكبر في المناطق الريفية والتي تعرف سرعة أكبر.

ويعتبر كل من المستوى التعليمي والحالة الزواجية من أكثر خصائص رب الأسرة المعيشية تأثيرا في نوعها وبشكل طردي، إذ بالنسبة للحالة الزواجية تميل الأسرة الى النووية 4 مرات عند المتزوجين وتبقى مرتفعة في الحالات الأخرى (أكثر من مرتين بالنسبة للأرامل وحوالي مرتين بالنسبة للمطلقين) مقارنة بالعزاب. في حين للمستوى التعليمي دور كبير ذو دلالة معنوية (0.002) في تحديد نوع الأسرة اذ كلما ارتفع المستوى التعليمي كلما مالت الأسرة لأن تكون نووية خاصة الثانوي فأكثر اين يزيد الاحتمال بـ1.2مرة عن الأرباب من دون مستوى.

أما تغير رب الأسرة من ذكر الى أنثى فإنه يخفض من أفضلية أن تكون هذه الأسرة نووية بنسبة 30% لأن الذكر يتقلد مركز رب الأسرة حتى ولو كانت هناك امرأة اكبر منه سنا وأحسن منه وضعا وذلك بمستوى معنوية عال جدا. وبنفس النسبة تنخفض أفضلية اتجاه الأسرة نحو النووية كلما كان عدد الغرف مساو أو يزيد عن4.

أما بالنسبة للسن والحالة الفردية لرب الأسرة فقد أظهر النموذج أنهما ذو معنوية عالية بصفة عامة ولكن بدون معنوية عندما يتعلق الأمر بالفئات إلا ما كان من الماكثات في البيت أين تزيد أفضلية أن تكون أسرهن نووية بأكثر من مرة وبمعنوية عالية (0.010).

بخصوص المسكن، تبقى الأسر المعيشية التي تسكن شققا أكثر اتجاها نحو النووية وبشكل معنوي في حين تتجه تلك التي تعيش في سكنات تقليدية نحو النوع غير النووي. وأخيرا يزيد ضعف المستوى المعيشي من أفضلية نووية الأسرة بأكثر من مرة.

3-3-نتائج التحليل اللوجيستي لحجم الأسر المعيشية:

وبإتباع نفس الطريقة، سمح التحليل اللوجيستي لمحددات حجم الأسرة المعيشية بالوصول الى نتائج الجدول التالي:

جدول رقم 4:تقدير تأثير المتغيرات السوسيوديموغرافية لرب الأسرة المعيشية وخصائص المسكن على حجم الأسرة.

المتغيرات التفسيريه	B	E.S	Wald	ddl	Sign	Exp(B)
مكان الاقامه(حضر)						
ريف	-0.110	0.39	8.057	1	0.005	0.896
الجنس(ذكر)						
انثي	1.186	0.116	104.315	1	0.000	3.274
الحاله الزواجيه(اعزب(ة))			52.550	3	0.000	
متزوج(ة)	0.032	0.134	0.056	1	0.813	1.032
ارمل(ة)	0.392	0.162	5.847	1	0.016	1.479
مطلق(ة)	1.182	0.201	34.763	1	0.000	3.262
نوع المسكن(فردي/تقليدي)			31.098	2	0.000	
شقة	0.257	0.048	28.586	1	0.000	1.293
سكن تقليدي	0.002	0.040	0.003	1	0.954	1.002
عدد الغرف(اقل من 4 غرف)						
4 غرف فأكثر	-0.712	0.057	155.064	1	0.000	0.490
السن(15-19 سنة)			1672.062	5	0.000	
29-20	0.975	0.835	1.364	1	0.243	2.652
39-30	0.549	0.832	0.436	1	0.509	1.732
49-40	-0.999	0.832	1.442	1	0.230	0.368
59-50	-1.433	0.833	2.961	1	0.85	0.238
60 فأكثر	-0.301	0.834	0.130	1	0.718	0740
المستوى التعليمي(بدون مستوى)			346.423	3	0.000	
ابتدائي	0.373	0.49	57.699	1	0.000	1.452
متوسط	0.641	0.057	127.334	1	0.000	1.899
ثانوي فأكثر	1.080	0.059	333.461	1	0.000	2.946
النشاط الاقتصادي(نشيط)ة			19.715	4	0.001	
عاطل	-0.11	0.059	0.034	1	0.854	1.011
ربة بيت	-0.084	0.107	0.622	1	0.430	0.919
متقاعد	0.178	0.060	8.700	1	0.003	1.195
اخر	0.333	0.96	12.161	1	0.000	1.395
ثابت النموذج	0.456-	0.826	0.304	1	0.581	0.634

المصدر: الاستغلال الشخصي لمسح EASF2002

يعتبر كل من المستوى المعيشي، عدد الغرف، وجنس رب الأسرة من أكثر المتغيرات تحديدا لحجم الأسرة وبمعنوية جد عالية مقارنة بالمتغيرات الأخرى. فكلما ارتفع المستوى التعليمي لرب الأسرة المعيشية كلما اتجهت أكثر نحو حجم أصغر بعدد مرات تراوح بين 1.4 (ابتدائي) وحوالي 3 مرات (ثانوي فأكثر) مقارنة بالذين ليس لديهم أي مستوى. و كلما كان عدد غرف المسكن يساوي أو يزيد عن 4 كلما انخفضت أفضلية الحجم الصغير بمقدار 51%.أما الجنس، فكلما كان تسيير الأسرة من قبل امرأة كلما زادت أفضلية أن يكون حجمها أصغر وذلك بأكثر من 3 مرات مقارنة بالذكور .

كما يرتفع احتمال الأسرة ذات الحجم الصغير كلما كان ربها أرمل أو مطلق (1.5 و3.3 على التوالي) وهو عادة أمر يخص النساء أكثر من الرجال بسبب بقاء النساء على هاتين الحالتين أكثر من الرجال بسبب خاصة صعوبة زواجهن. وأيضا يرتفع هذا الاحتمال (1.3 مرة) عندما يتعلق الأمر بالشقق مقارنة بالأنواع الأخرى من السكنات. كما أن انتقال الأسرة من الحضر إلى الريف يخفض من احتمال أن تكون ذات حجم صغير بنسبة حوالي 10%. وتبقى الفئات الأخرى بدون دلالة معنوية رغم معنوية المتغيرات بصفة عامة.

خلاصة:

إن ندرة الدراسات التي اهتمت بالبحث عن محددات نوع وحجم الأسرة المعيشية، إن لم نقل انعدامها، تجعل لهذه الدراسة أهمية خاصة لما توصلت إليه من نتائج بفضل نموذج الانحدار اللوجيستي الذي ساهم احصائيا في الوصول إلى هذه المحددات عن طريق اختبار فرضياتنا المطروحة مسبقا. فتبين أن العوامل الديموغرافية إلى جانب العوامل السوسيواقتصادية تلعب دورا كبيرا في تحديد نوع وحجم الأسرة المعيشية الجزائرية. وهو ما يعني أن التحول الديموغرافي أثر فعلا عليها ساهم وبشكل كبير في التحولات التي تشهدها ونقصد خاصة البنية العمرية (السن)، الزواجية، الخصوبة وتفكك العلاقة الزواجية بالموازاة خاصة مع المستوى التعليمي الذي ارتبط كثيرا بنووية الأسرة المعيشية وتقلص حجمها كلما ارتفع هذا المستوى وكذا الحالة الفردية للنساء رغم ضعف المستوى العام لمشاركة النساء في سوق العمل.

كما توصلنا إلى نتائج مذهلة تتعلق خاصة باتجاه الأسر المعيشية الريفية نحو النووية أكثر من الحضرية وهو ما يجر إلى الاعتقاد أن ظروف المدن – ربما – ستؤدي إلى عودة الأسرة الكبيرة ولكن بشكل آخر استجابة لهذه الظروف. كما أن للمسكن وخصائصه دور لا يقل أهمية عن العوامل الديموغرافية، حيث تغلب وسيزيد انتشار الشقق مستقبلا من نووية الأسر وتقلص حجمها كما أشار إلى ذلك النموذج. وأخيرا، وجدنا أن أكثر من نصف الأسر المعيشية الجزائرية يزيد فيها الحجم عن 5 أفراد أي أن أغلبها ذات حجم متوسط أو كبير.